يريد بالاستاذ كافوراً وهو يمدحه بالكهولة بسبب ما يصاحبها من صحة الادراك وسلامة النظر

واننا لو شئنا ان نتتبع الماضين للاستدلال من اقوالهم على عدم تأثير الكبر بمداركهم لذكرنا منهم العدد العديد من رجال كل فن

نجعة الرائد

بيتُ اليازجيّ قومٌ اذا قالوا قالوا صحيحاً واذا كتبوا كتبوا فصيحاً. اذا قالوا شعراً جروا اذيال النسيان على ابي الطيب والوليد واذا كتبوا ضربوا على ذكر ابن المقفع وعبد الحميد قومٌ هم ملوك الادب والبيان من قديم الزمان اذا تحداهم احد كان عندهم عاملاً يمضي على ما سنوه له من قواعد البراعة وشرائع البيان قومٌ كأنهم سبَوا اللغة بجمال قرائحهم فلم تحن عهدهم وترضى بحبيب آخر بين الانام فبقيت مقصورة في خدور اذهانهم لا تبرز الا محجبة منهم بين اسنة الاقلام وظبي الافهام واذا برزت بدا الجمال على متون المهارق تتهيبه عيون المتأدبين وغارت عليه الالباب تحفظه كأنه جمال الغيد تحفظه مهج العاشقين قومٌ اذا ذكرت الاقلام كسر كل كاتب خجلاً امامهم قلمه واذا عدت رجال الفضل في الشرق كانوا المقدَّمة لا في المقدَّمة فالسلام على قوم هم مطلعُ شمس الادب في الشرق ومغيبها والسلام الخصوصي على الباقي منهم وهو هذا صاحب النجعة الذي زفت اليه اللغة حليلة وحسن به نصيبها

قسمتُ قلبي ما بين الجمال وما بين اليراع فاهوى الحسن والادبا
في الحسن اهوى من الغادات ابرعها حسناً وفي العلم اهوى ابرع الادبا
اليازجيُّ الذي تكفيك نسبته دلالةً انه استاذ من كتبا
يخط حبراً على القرطاس يحسب من نفيس ما كتبته كفه ذهبا
لم تذهب العرب الأُولى الكرام ومن يستخلف الشيخ ابرهيم ما ذهبا
لو لم يكن شبل ناصيف لادهشنا بكل معجزة قد بذَّ العربا
اذ من يكن شبل ناصيف فلا عجبٌ به وان كان ما ياتي به عجبا

(النجعة) لا آتي هنا لابدي لسواد المتأدبين ان هذا الكتاب مفيد فان الرجل هو واهله لم ينشئوا كتابا الا كان كله فوائد وهذه آثارهم في المدارس فان مدارس سوريا من كلية وجزئية لا تعول الا على الاخذ من كتبهم والرجوع اليها والتلقين بها وهذه المكاتب حافلة دائماً بمصنفاتهم آهلة بمؤلفاتهم التي تطبع مراراً لانفرادها في الحسن والنفع ومما لفت نظري وادهشني الكتب المعرضة للبيع والمكتوبة على غلاف الكتاب فلم اجد بين هذه المؤلفات العديدة كتابا تأليف غريب بل كلها موشاة باقلام افراد هذه الاسرة الكريمة فضلاً عن ان هذه الكتب التي ذكرت جزء من بعض من الكتب التي لم تذكر

وليس من شاعر او كاتب يشار اليه بالبنان الا اخذ عنهم واقتدى بهم وليس من شدا شيئاً من الصرف والنحو او اضطلع بهذين الفنين الا يكون قد اغترف من بحر فضلهم واستقى من مورد كتبهم وغني بها عن الوقوف على غيرها من كتب الصرف والنحو . ولم يقف فضل هؤلاء العصابة عند هذا الحد بل لا تزال مدارس الشام تذكر وقوفهم فيها يلقنون التلامذة

باسلوب من التعليم لم يبق له مثيل في سهولة المأخذ وقرب المتناول فهم الذين وضعوا اساس النهضة العربية ورفعوا نبراس اللغة وابرزوها بهذه الحلة الجميلة

وقد ذكر لي احد تلامذة البطريركية انه كان زاهداً في العربية ومائلاً الى الفرنسوية فحدث ان انتدب الشيخ ابرهيم للتعليم فيها فاحدث فيه رغبة لتلقنها وخجل ان يقف امام الشيخ لتأدية الدرس ولا يحسن التأدية فعكف على العربية ونال منها حظاً وافراً

وقد مضى على هؤلاء القوم نحو قرن من الزمان وهم يشتغلون في اللغة وآدابها واحياء ما درس من معالمها واعادة ما مضى من جمالها وهي على ما يخشى عليها من الاضمحلال لا تزال تعتبر مع وجود اليازجي في شرخ شبابها وغضاضة إهابها ومع ما طرأ عليها من الغضاضة والسعي في حملها على غاربها لا تزال مع وجود اليازجي مقدورة قدرها منظوراً اليها

ولا آتي هنا لاطراء النجعة فانا وغيري اقل من ان تطرئ كتابا يدبجه الشيخ ابرهيم اليازجي بل الشيخ ابرهيم اليازجي هو الذي يطرئ كتابا نؤلفه اذا كان يستحق الاطراء وحسبنا من اطراء كتاب يؤلفه ان نعلن ونقول صدر كتاب لفلان ويكون الاعلان بمثابة الاطراء والشكر ان غير ان غرضي ابانة موضوع هذا الكتاب فاقول

احب الشيخ اليازجي ان يبقي على اللغة جمالها فاتحف الناطقين بالضاد ولا سيما المنتحلين صناعة الانشاء والتحبير بهذا الكتاب الذي لو تعهده الكاتب لخلص من مغبة الركاكة التي تذهب بجمال اللغة وتقضي على محاسنها وبالتالي فان الكاتب يغدو غنياً بالالفاظ والتعابير فاذا اتى ليكتب لا يلفي امامه فقط وجهاً واحداً من التعبير في كل مقالة ينسجها وكل رسالة يدبجها

مما يمل منه هو ويمل منه قراء كلامه بل يجد امامه بحراً زاخراً من المادة اللغوية يقذف بلآلئ اللفظ وجواهر التعبير فيستخدمها لتحسين كلامه ورفعه الى طبقة البلاغة والفصاحة فبدلاً ان يورد كل مرة في كلامه وهو يصف رجلاً في قوة البنية . فلان قوي البنية قوي الجسم وهو لا يحول عن تعبيره فما باله لا يقول مرة من المرات فلان مفتول الساعدين عبل الذراعين متين العصب وقس عليه ما جاء في النجعة تحت عنوان « فصل في قوة البنية وضعفها » وبدلاً من ان يقول كل مرة فلانة فتانة فتاكة فلماذا لا يعدل عن ذلك مرة ويقول قد افرغت في قالب الجمال ووسمت بميسم الحسن وزهراء اللون الى غير ذلك مما جاء في النجعة تحت هذا الفصل مما يسم اللغة بميسم الحسن ويفرغها في قالب الجمال وجملة القول ان نجعة الرائد كتاب يستأنس به الضعيف ويستعين به القوي

وقد قسم معانيه شيخنا المبجل الى اثني عشر باباً تنطوي تحتها اغراضه وكل باب يتفرع الى عدة فصول وهذه سياقة الابواب كما جاء في الكتاب

الباب الاول في الخلق وذكر احوال الفطرة وما يتصل بها

الباب الثاني في وصف الغرائز والملكات وما يأخذ مأخذها ويضاف اليها

الباب الثالث في الاحوال الطبيعية وما يتصل بها ويذكر معها

الباب الرابع في حركات النفس وانفعالاتها وما يلحق بذلك

الباب الخامس في الاصول والانساب والطبقات وما يتصل بها ويضاف اليها

الباب السادس في العلم والادب وما يليها

الباب السابع في سياقة احوال وافعال شتى مما يعرض في الالفة والمجتمع والتقلب والمعاش

الباب الثامن في معالجة الامور وذكر اشياء من صفاتها واحوالها

الباب التاسع في السائس والوازع وما يعرض في المجتمع من الفتوق والفتن وتداركها

الباب العاشر في الارض وجوها وذكر ما يتعلق بهما من الحوادث

الباب الحادي عشر في الدهر واحواله

الباب الثاني عشر في الشؤون الأُخروية

هذا هو الكتاب الذي دبجته يراعة علامة زمانه ونسيج وحده الشيخ ابرهيم اليازجي الكتاب الذي كنا ندعو الامة ان تجزيه عليه لو تعودت الامة ان تجزي العلماء وكنا نملأ الآفاق ثناء عليه لو كان يغني عن الاجر الثناء ورجل واهله قضوا قرناً في خدمة الامة لا نعلم ماذا يقعد بالامة عن معرفة اقدارهم ولا ندري ما يحبسها عن مكافأة من وصلوا في تثقيف عقلها اناء ليلهم باطراف نهارهم الا ان يكون موت شرف من الامة اورثها عدم الاحساس او موت احساس اورثها قلة الشرف فلم تبالِ بمن احسن اليها من الناس

رشيد مصوبع